المحاضرة السابعة والثامنة: المستويات اللسانية

المستوى الصوتي والمستوى الصرفي

المستويات اللسانية: مصطلح لسانيّ حديث وشائع، يُتّخذ عادة منطلقا للتحليل اللسانيّ والتوصيف. والمستويات اللسانيّة واحدة أو تكاد تكون كذلك في كلّ اللغات أو الألسن، وذلك بالنظر إلى المقوّمات أو الأبنية التي تقوم عليها اللّغة أو اللغات، ولا غرو في أنّ كلّ اللغات تشتمل على هذه المقوّمات، ألا وهي الأصوات والكلمات والتراكيب والدلالة.

والمستوى اللغويّ من حيث المفهوم هو المجال الذي يهتمّ به اللسانيّ بغاية الدراسة والوصف والتحليل. ولا عجب بأن نقرّ بأنّ هذه المستويات واحدة، ولا تكاد تختلف في اللسانيّات الحديثة عمّا هي عليه في اللسانيّات القديمة، اللهمّ إلّا فيما يتعلّق بالمنهج، وكيفيّة المقاربة أو التناول. وهذه المجالات، ومن باب التأكيد، لا تخرج عن الأصوات والتركيب والمفردة .

وأمّا طريقة التناول فهي مهمّة، لأنّها هي التي ينحصر الخلاف بشأنها، وذلك فيما يتعلق بطبيعة هذه المستويات وعددها، والتداخل الحاصل بشأنها، إذ قد لا يتمّ الاتفاق بشأن عدد هذه المستويات، وما يدخل ضمنها أو لا يدخل، وفي العلاقة القائمة بين هذا المستوى وذاك.

ومن باب التوضيح، لو عدنا إلى هذه المستويات مثلما يمكن تمثّلها في بعض النظريّات القديمة والحديثة، لأمكننا إيراد ما يلي:

* إنّ هذه المستويات على ما جاءت عليه في النحو العربيّ، وذلك على امتداد تاريخه الطويل، وبالرجوع أساسا إلى سيبويه (أو بالأحرى إلى الخليل) فإنّها تنحصر في ثلاثة مستويات، تعكسها الأقسام الثلاثة الواردة في كتاب سيبويه، ألا وهي التراكيب (ومن ضمنها الإعراب)، والصيغ أو أبنية الكلمات وتصاريفها، والأصوات.

*وأمّا في اللسانيّات الحديثة، وبالذات في ما يُطلق عليه المدارس البنيويّة الوصفيّة جميعها تقريبا، بدءا من دي سوسير، ومرورا بمارتيني وجاكبسون وبلومفيلد وقليزون وليونز وغيرهم، والذين يعود إليهم هذا المصطلح، فإنّها تشمل المستويات التالية:

1- –الأصوات وتهتمّ بالجانب الصوتيّ المحض، من حيث مخارج الحروف وصفاتها.
2- –والأصوات الوظيفيّة، وهو ما يعرف بالفونولوجيا، وتهتمّ بتأثّر الأصوات ببعضها البعض، وما يطرأ عليها من تغييرات.

3- –المستوى الصرفيّ، ويهتمّ بأبنية الكلمات، وتصريف الكلمات القابلة للتصريف، والتغيّرات الصرفيّة الطارئة عليها.

4- –المستوى التركيبيّ، ويتعلّق بأبنية التراكيب والجمل، وائتلاف الكلمات فيما بينها.

5- –المستوى المعجميّ والدلاليّ، ويتعلّق بالوحدات المعجميّة، والمعاني الملابسة لها على النحو الذي تظهر فيه في القاموس، دون الاهتمام بالمعاني المركّبة أو الدلالات التي يفرزها السياق، والمتعلّقة بالحقيقة والمجاز والتشبيه والبيان وغيرها.

هذه المستويات متّفق عليها، ولا اختلاف بشأنها، وذلك في معظم المدارس المشار إليها. وقد لا يحدث اختلاف إلّا في مسألة الفصل بين المستويين المعجميّ والدلاليّ أو الدمج بينهما. ووفق هذه المستويات يتمّ التعامل مع اللغة، وتوصيفها، وتحليلها، وتفسيرها.

لقد خرجت عن نطاق هذه التصوّرات في المدارس البنيويّة الوصفيّة المشار إليها، المدرسة التوزيعيّة التي أسّس لها هاريس، والتي تعتبر أنّ أصغر وحدة قابلة للتحليل هي الجملة، لا الصوت ولا الكلمة، وهي تؤكد بما لا يدعو إلى الشكّ على الجانب التركيبيّ في التحليل. وهذا فضلا عن المدرسة التوليديّة التحويليّة التي أسّسها شومسكي، والتي تنظر إلى اللّغة على أنّها قائمة على مستويين اثنين لا غير، وهما الصوت من جهة والمعنى من جهة ثانية. وما بقيّة المستويات، أي المستوى الصرفيّ والمستوى الفونولوجيّ والمستوى المعجميّ إلا مكوّنات من مكوّنات التركيب. ويبدأ التحليل في النحو التوليديّ، خلافا لبقيّة المدارس الأخرى، بالمستوى التركيبيّ لينتهي إلى المستوى الصوتيّ، على الوجه الذي تتحقّق به الأصوات في الكلام. .(1)

1- **المستوى الصوتي**: يحضر في هذا المستوى علمان مهمان هما علم الأصوات العام (phonétique) وعلم الأصوات الوظيفي (phonologie):

أ- **علم الأصوات العام(phonétique)**:هو العلم الذي يهتم بالأصوات كوحدات منعزلة عن السياق الصوتي الذي ترد فيه، أي أنه يدرس الصوت كحدث إنساني في حالة النطق والسماع للتعرف على مخارجه وصفاته، دون التطرق لوظيفته في التركيب،كما أن جملة قوانينه وبعض نتائجه يمكن تطبيقها على اللغات المختلفة.(2)

*** موضوع علم الأصوات هو "phone" الصوت اللغوي المفرد البسيط الذي يمكن له أن يخضع للقياس والتحليل الآلي.**

*مجالات علم الأصوات العام:

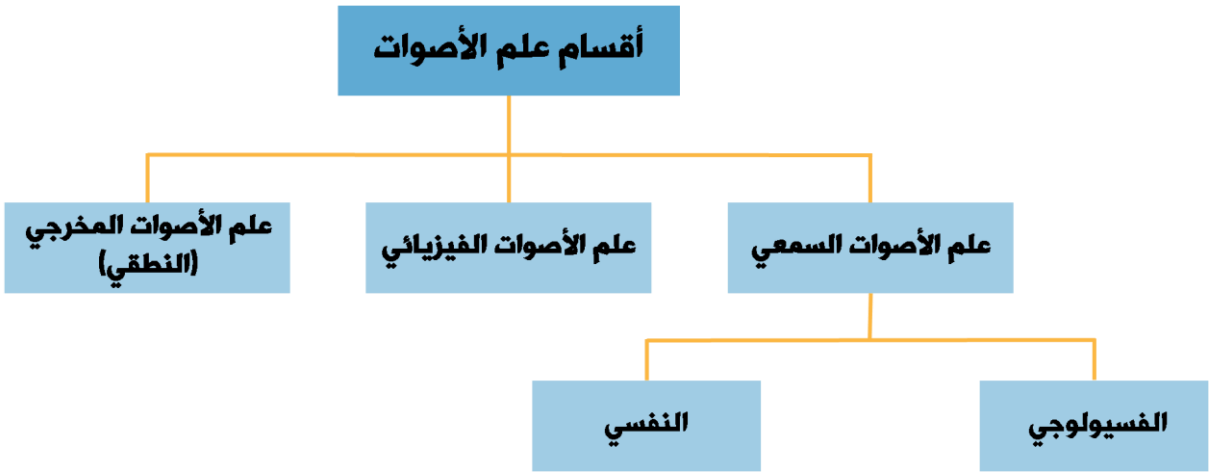

*الجهاز النطقي للإنسان (مخارج الأصوات)

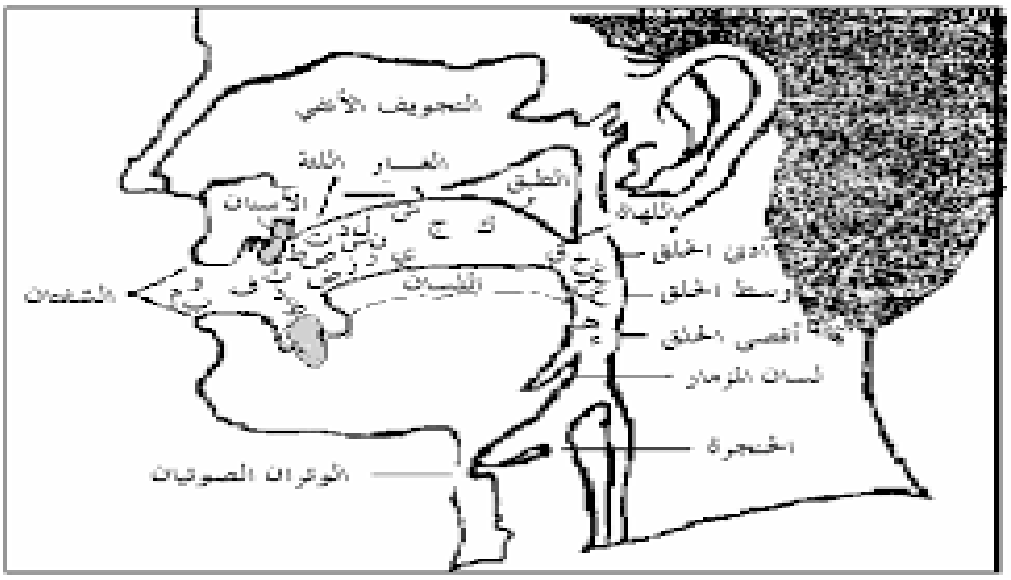

*** تصنيف الأصوات اللغوية:**

الأصوات الصائتة(Voyelles):الصوائت في اللغة العربية تمثلها الحركات(الفتحة،والضمة، والكسرة ومايقابلها من الألف،والواو، والياء) وهي كمايعرفها دانيال جونز: أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بهاعلى شكل مستمر من البلعوم إلى الفم،دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتيةتدخلا يمنع خروجه، أو يسبب فيه احتكاكا مسموعا".[3] وعليه فالسمة الأساسية التي تتميز بها الصوائت خلو مجراها النطقي من أي عائق من جهة. وأنها مجهورة دائما من جهة أخرى. وتسمى في الثقافة اللسانية العربية بأسماء منها: أحرف الجوف، والهوائية والضعيفة"يقال للواو والياء والألف أحرف الجوف،كان الخليل يسميها الحروف

الضعيفة الهوائية،وسميت جوفا لأنه لا أحياز لها كسائر الحروف التي لها أحياز، إنما تخرج من هواء الجوف فسميت مرة جوفا ومرة هوائية وسميت ضعيفة لنتقالها من حال إلى حال عند التصرف باعتلال".[4]

- **ثانيا: الأصوات الصامتة**(Consonnes): بعد معرفتنا لأهم صفة للصوائت (الحركات) تتضح لنا سمة الصوامت (الحروف) وهي أن يعترض مجرى نطقها عارض فتكون إما مجهورة أو مهموسة ويكون مخرجها جانبيا، أو احتكاكيا،أو أنفيا،أو أرتداديا.أي أن له مكانا محددا بخلاف الصائت. (ب، ت، ج...)

وتصنف الأصوات كذلك بحسب المخرج (شفوية، حلقية، أسنانية....) وبحسب الصفة (مجهورة، مهموسة) أو (شديدة، رخوة)، (مطبقة غير مطبقة)، وتصنف باعتبار الكم الصوتي إلى (أصوات مفردة، مقاطع).

ب- علم الأصوات الوظيفي أو الفونولوجيا(phonologie):

هو علم "يهدف إلى تحديد السمات العامة التي تتكون منها هوية الصوت في لغة ما...كما التحولات السياقية التي تطرأ على الصوت اللغوي فتفقده بعض خصائصه،أوتكسبه خصائص أخرى".(5)

- موضوع علم الفونولوجيا: إن العنصر الأساسي الذي هو موضوع الفونولوجيا هو الفونيم(phonéme).

- يُعَرَّف الفونيم وظيفيا بأنه الوحدة الصوتية التي يؤدّي تغيرها إلى تغيّر المعنى. فوظيفة الفونيم هي التمييز بين الكلمات وإعطائها قيمة صرفية أو نحوية أو دلالية فمثلا الميم فونيم في كلمة مال لأنها ميزتها عن قال وجال...والفتحة فونيم في لكَ لأنها ميزتها عن لكِ؛ فالأولى للمذكر والأخرى للمؤنث.

ليس كل صوت فونيما؛ وإنما يكون الاعتماد أساسا على قدرته على تغيير المعنى.

فربما تغير الصوت ولم يتغير المعنى؛ وفي هذه الحالة يسمى **ألوفون (التنوع الصوتي)** وليس بفونيم.

مثل :

1- التنوع اللهجي في لغة واحدة مثل: نطق القاف كاف في لهجة جيجل .قالّي كالّي. والغين قافا في ضواحي باتنة خاصة بريكة وفي ضواحي بسكرة ومسيلة وفي بوسعادة على سبيل المثال. يقولون القابة بدل الغابة أو الغنم بدل الغنم.

2- التغير بسبب التركيب فنحن نقلب النون ميما في كلمة قسنطينة فتصير قسمطينة.

3- إمالة الفتحة نحو الكسرة عند سكان الدوسن وأولاد جلال وسيدي خالد فينحو: الحِشِيش، الحِليب، السِّلالم ...

4- العيب النطقي عند الأطفال في مراحل اكتساب اللغة.مثل نطق الهمزة عينا في كلمة الأب/ العب.

- **فكل هذه التغيرات التي لا تؤدي إلى تغيير المعنى تسمى ألوفونات، أم الوحدات الصوتية التي يؤدي تغييرها أو حذفها أوزيادتها في الكلمة إلى تغيير المعنى فهي فونيمات؛ سواء كانت حركة أم صوتا أم نبرا أم تنغيما.**

2- المستوى الصرفي:

علم الصرف أو المورفولوجيا: هو "العلم الذي يبحث في طرائق بناء الكلمة، وما يطرأ على هذا البناء من تغيرات لفظية".(6)

والوحدة الأساسية التي تشكّل موضوع هذا العلم وأساس المستوى الصرفي هي المورفيم:

- **المورفيم Morphéme**: أصغر وحدة ذات معنى صرفي أو معجمي.

أو هو سلسة من الفونيمات ذات المعنى الذي لا يمكن تقسيمها بدون تضييع المعنى أو تغييره.(7)

وعليه فالوحدات الصغرى أو المورفيمات قسمان:

أ- **وحدات دالة بذاتها**؛ أي أن لها معنى مستقلا عن غيرها وتسمى في أدبيات الدرس اللساني بالمورفيمات الحرة(Free morphém) ومثال ذلك: "منزل" في العربية و (Maison) في الفرنسية. والمورفيمات الحرّة هي المداخل التي تبنى عليها المعاجم اللغوية، ثم يأتي الاشتقاق ليوسع من صور الكلمات المداخل باضافات مناسبة للمعاني المشتقة من الصيغ الجديدة.

ب- وحدات صرفية لا تستعمل منفصلة: لأن دلالتها تكون في اتصالها بمورفيم آخر تعرف بـ : المورفيم المقيّد أو المتصل (morphém Bound): وهي السوابق Prefixes وم أدواتها في اللغة العربية حروف المضارعة(أنيت)، و أحرف الاستقبال(السين وسوف)، و(ال) التعريف والدواخل(inflixes) ومن أمثلتها (الألف في جمع التكسير، واسم الفاعل واسم المفعول)، وكذلك ما تقوم به الصوائت في تغير دلالة الأفعال من البناء للمعلوم إلى البناء للمجهول، واللواحق (suffixes) ومن أمثلتها في اللسان العربي: تاء التأنيث، ونون النسوة والتوكيد والضمائر المتصلة بصفة عامة التي تؤدي إلى تغيير في المعنى الأساسي. ويدخل فيها كذلك الضمير المستتر الذي يحدده التركيب.

ومثلا في اللسان العربي ما نتحصل عليه من الجذر اللغوي(ك ت ب)كما هو مبين في الجدول الآتي:

الجذر	(ك ت ب)	
السوابق	أنيت، س، سوف، ال، صوائت البناء للمجهول.	أكتب، نكتب، يكتب، تكتب، سأكتب، سوف أكتب،كُتِبَ، الكُتُب.
الدواخل	ألف التكسير، الف اسم الفاعل، ياء التصغير...	كتاب، كُتَّاب، كاتب. كتيب
اللواحق	الضمائر المتصلة، تاء التأنيث،...	كتبتْ.كتبن،كتبوا، كتبتم،كتبنا ...

---

(1)- عبد الحميد النوري، المستويات اللغوية في التحليل اللساني، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، تاريخ النشر سبتمبر 2016، الموقع: https://www.m-a-arabia.com/ تاريخ التصفح: 14-02-2021، الساعة 14:00.

(2)- المحاضرة مقتبسة بتصرف من دروس الأستاذ صالح بوترعة، جامعة أم البواقي. ينظر: دراسات في علم اللغة كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر،ط1986،9، ص 12.

(3)- رمضان عبد التواب، المدخل الى علم اللغة، ص 92.

(4)- غلب فاضل المطلبي، في الأصوات اللغوية، دائرة الشؤون الثقافية للنشر، بغداد، 1984، ص 70.

(5)- سمير شريف استيتية ،اللِّسانيات ، المجال، والوظيفة ، والمنهج ،علم الكتب الحديث، الأردن ، ط 2 ،2008. ص 61.

(6)- سمير شريف استيتية ،اللِّسانيات، مرجع سابق، ص 105.

(7)- ماريو باي، أسس علم اللغة تر: أحمد مختار عمر ،ص 101.